﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر الله تعالى في الآية السَّابقة الميثاقَ والعهد بين الحقِّ تبارك وتعالى وعباده، وهو ميثاق مخصوص هنا ببني إسرائيل؛ فقد أخذه الله عليهم في إقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والإيمان بالرُّسل ونصرهم وتعزيرهم، لكنَّهم بعد ذلك نقضوا ميثاقه الذي واثقهم به؛ فناسب أن يذكر ما وجبَ عليهم من العقاب "عَلَى ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يَنْتَظِرُونَ مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَبْقَى؛ لِنَعْتَبِرَ بِحَالِهِمْ، وَنَتَّقِيَ حَذْوَ مِثَالِهِمْ، وَلِيُبَيِّنَ لَنَا عِلَّةَ كُفْرِهِمْ بِنَبِيِّنَا، وَتَصَدِّيهِمْ لِإِيذَائِهِ وَعَدَاوَةِ أُمَّتِهِ؛ وَلِيُقِيمَ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقْضِهِم﴾: مصدر للفعل (نقضَ ينقضُ)، والجذر اللغويُّ منه: (نقض)، ومعناه: "إفساد ما أبرمت من حبل أو بناء"[2].

والأصل في معناه: دلالته عَلَى نَكْثِ شَيْءٍ وَنَقْضِ الْعَهْدِ مِنْهُ أَيْضًا[3].

و"المعنى المحوريُّ: تفكُّك ما قوَّى ارتباط أجزائه الباطنة لضغط شديد أو نحوه، كانتقاض البناء والعَقْد والحَبْل والغَزْل ونحوهن"[4].

وهو أيضًا: "انْتِثَارُ الْعَقْدِ مِنَ الْبِنَاءِ وَالْحَبْلِ وَالْعِقْدِ، وهو ضِدُّ الإِبْرَام، يقال: نَقَضْتُ الْبِنَاءَ وَالْحَبْلَ وَالْعِقْدَ... ومن نَقْضِ الْحَبْلِ وَالْعِقْدِ اسْتُعِيرَ نَقْضُ الْعَهْدِ"[5] والمعنى في الآية:

(1) رضا، تفسير المنار: 6/231.
(2) الخليل، العين: (نقض).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقض).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نقض).
(5) الراغب، المفردات: (نقض).

"أنَّ بني إسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده، بأن كذَّبوا الرُّسل الذين جاؤوا من بعد موسى، وقتلوا أنبياء الله، ونبذوا كتابه، وضيَّعوا فرائضه"[1].

2) ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾: فعل ماضٍ من (لعنَ يلعنُ)، مسند لضمير الجمع الدَّالِّ على عظمته تعالى، جذره اللُّغويُّ: (لعن)، واللَّعن: الإبعاد من الله، أو من رحمته؛ ليستحقَّ العذاب[2].

والأصل في معنى اللَّعن: دلالته "عَلَى إِبْعَادٍ وَإِطْرَادٍ، وَلَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ: أَبْعَدَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ لِلذِّئْبِ: لَعِينٌ"[3].

و"المعنى المحوريُّ: نَفْي أو طَرد، وإبعاد من الحيِّز بتخويف وذَعر؛ لعدم قبول القرب... ومن معنويِّه "اللَّعْنُ: الطَّرد والإبعاد من رحمة الله وجنَّته، ومن الخير غضبًا وعدم قبول... وليس في القرآن من التَّركيب إلَّا فعل (اللَّعن) وما هو منه بمعنى: الطَّرد، والإبعاد من رحمة الله"[4].

و"اللَّعْنُ: الطَّرد والإبعاد على سبيل السُّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدُّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾"[5].

ومعنى لعنَّاهم في الآية: الإبعاد من رحمته تعالى، وورد بمعنى: المسخ[6].

3) ﴿قَٰسِيَةٗۖ﴾: اسم فاعل من الفعل (قسا يقسو)، الجذر اللُّغويُّ له: (قسو)، ومنه "القَسْوة: الصَّلابة في كلِّ شيء، وقَسَا يَقْسُو، فهو قاسٍ، وليلة قاسيةٌ: شديدة الظُّلمة، والمُقاساةُ: معالجة الأمر ومكابدته"[7].

والأصل في معناه: الدَّلالة على الصَّلابة والقوَّة والشِّدَّة، كالأحجار القاسية، وقد يشبَّه بها القلوب القاسية؛ لما فيها من الغلظة[8].

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/23.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (لعن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لعن).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لعن).
(5) الراغب، المفردات: (لعن).
(6) البَغَويّ، معالم التنزيل: 3/31.
(7) الخليل، العين: (قسو).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قسي).

و"القَسْوَةُ: غلظ القلب، وأصله من: حجر قَاسٍ، والْمُقَاسَاةُ: معالجة ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾"[1]، وأكثر معاني قسوة القلب تدور حول الغلظة والصَّلابة والشِّدَّة والخلوِّ من الرَّحمة واللِّين[2]، ومعنى قسوة القلوب في الآية: صلابتها بتشبيهها بالأجسام الصُّلبة كالحجارة، فالقسوة في القلوب مجازيَّة للمبالغة[3]؛ لأنَّ معنى قاسية في الآية: أنَّها لا تلين عند رؤية الآيات، وعند النَّذر، ولا تتأثَّر بالمواعظ[4].

4) ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: فعل مضارع مضعَّف مسند للجماعة، الجذر اللُّغويُّ منه: (حرف) "وتَحَرَّفَ فلانٌ عن فلان وانحَرَف، واحرَوْرَفَ واحد، أي: مالَ"[5]، فالتَّحريف من الميل، ومنه الانحراف.

وله أصل في المعنى دالٌّ على"الِانْحِرَافِ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: انْحَرَفَ عَنْهُ يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا، وَحَرَّفْتُهُ أَنَا عَنْهُ، أَيْ: عَدَلْتُ بِهِ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: مُحَارَفٌ، وَذَلِكَ؛ إِذَا حُورِفَ كَسْبُهُ"[6].

والتَّحريف من الإمالة، ومنه تحريف الكلام[7]، وهو الوارد في الآية، "وَالتَّحْرِيفُ: الْمَيْلُ بِالشَّيْءِ إِلَى الْحَرْفِ، وَالْحَرْفُ هُوَ الْجَانِبُ، وَقَدْ كَثُرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ اسْتِعَارَةُ مَعَانِي السَّيْرِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، إِلَى مَعَانِي الْعَمَلِ وَالْهُدَى وَضِدِّهِ"[8].

5) ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: اسم جنس جمعيٍّ، مفرده: (كلمة)، وجذره اللُّغويُّ من: (كلم)، وأصل الكاف واللَّام والميم: "يدلُّ على نطق مفهم... تقول: كلَّمتُه أكلِّمه تكليمًا، وهو كليمي؛ إذا كلَّمك، أو كلَّمته، ثمَّ يتَّسعون، فيسمُّون اللَّفظة الواحدة المفهمة: كلمة، والقصَّة: كلمة، والقصيدة بطولها: كلمة"[9].

والكلام: "يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند

(1) الراغب، المفردات: (قسو).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (قسو).
(3) رضا، تفسير المنار: 1/292.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 6/1916.
(5) الخليل، العين: (حرف).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حرف).
(7) الراغب، المفردات: (حرف).
(8) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/143.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كلم).

النَّحويِّين يقع على الجزء منه، اسمًا كان، أو فعلًا، أو أداة، وعند كثير من المتكلِّمين لا يقع إلَّا على الجملة المركَّبة المفيدة"[1].

والمعنى المراد في الآية: أنَّ الكلم "جماع كلمة، وكان مجاهد يقول: عنى بالكلم: التَّوراة"[2].

6) ﴿مَّوَاضِعِهِۦ﴾: جمع تكسيرٍ، مفرده: (موضِع)، جذره اللُّغويُّ: (وضع)، و"المَوْضِعُ: المكان، والمَوْضِعُ أيضًا: مصدر قولك: وضعتُ الشَّيء من يدي وَضْعًا، ومَوْضوعًا، وهو مثل المعقول... ويقال في الحَجَر وفي اللَّبِن؛ إذا بُنِي به: ضَعْهُ على غير هذه الوضعة"[3].

والأصل في معناه: أن "يَدُلّ عَلَى الْخَفْضِ (لِلشَّيْءِ) وَحَطِّهِ، وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ووُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ يُوضَعُ: خَسِرَ، وَالْوَضَائِعُ: قَوْمٌ يُنْقَلُونَ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ يَسْكُنُونَ بِهَا"[4]، والموضع مشتقٌّ من الوضع، وهو أمر يدلُّ على الحطِّ، لكنَّه أعمُّ منه[5].

وتحريف الكلم عن مواضعه في الآية: "قَالَ الْحسن: حرَّفوا كَلَام اللَّه، وَهُوَ الَّذِي وضعُوا من قِبَل أنفسهم من الْكتاب، ثُمَّ ادَّعوا أَنَّهُ من كتاب اللَّه"[6].

7) ﴿وَنَسُواْ﴾: فعل ماضٍ (نَسِيَ) مسند إلى واو الجماعة، جذرهُ اللُّغويُّ منْ: (نسي)، ومصدرهُ النِّسيانُ، و"نَسِيَ فلانٌ شيئًا كان يَذْكُرُهُ، وإنَّه لنسيٌّ، أي: كثير النِّسيان، من قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: 64]. والنَّسْي: الشَّيء المَنسِيُّ الذي لا يُذكر... وسمِّي الإنسان من النِّسيان"[7].

و"النُّونُ والسِّينُ والياءُ: أصلانِ صحيحانِ يدلُّ أحدُهما على إغفالِ الشَّيءِ، والثَّاني على تركِ شيءٍ"[8]، والمعنيان متشابهان.

(1) الراغب، المفردات: (كلم).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 7/103.
(3) الجوهري، الصحاح: (وضع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وضع).
(5) الراغب، المفردات: (وضع).
(6) ابن زمنين، تفسير القرآن العزيز: 1/377.
(7) الخليل، العين: (نسي).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).

و"النِّسْيَانُ: تَرْكُ الإنسانِ ضبطَ ما استُودِعَ؛ إمَّا لضَعْفِ قلبِهِ، وإمَّا عن غفْلةٍ، وإمَّا عن قصْدٍ حتَّى يَنْحَذِفَ عن القلبِ ذِكْرُهُ، يقال: نَسِيتُهُ نِسْيَانًا"[1].

ومعناه أيضًا: "ضدُّ الذِّكْر، حيث يغيب ما كان محفوظًا في العقل، ويخفى، وهو يشمَل تركَ الشَّيء بمعنى: إغفاله، ونظير هذا قولهم عن الشَّخص أو الشَّيء المجهول: إنَّه مغمور"[2]، ومعنى (نسوا) في الآية: "نصٌّ على سوء فعلهم بأنفسهم، أي: قد كان لهم حظٌّ عظيم فيما ذكِّروا به، فنسوه، وتركوه"[3].

8) ﴿حَظًّا﴾: اسم مجرَّد من مضعَّف الثُّلاثيِّ، جذره اللُّغويُّ: (حظظ)، "والحظُّ: النَّصيبُ من الفَضْل والخير، والجميع: الحُظُوظ"[4].

وكلُّ (حظٍّ) في القرآن؛ فهو بهذا المعنى[5]، ومعنى الحظِّ في الآية: هو النَّصيب[6].

9) ﴿ذُكِّرُواْ﴾: فعل ماضٍ مبنيٌّ للمفعول، مسند لواو الجماعة، والجذر اللُّغويُّ منه: (ذكر)، وهو "الحفظ للشَّيء تذكره، وهو مني على ذُكْر، والذِّكرُ: جري الشَّيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر"[7].

ولهذا الجذر أصلان في المعنى، أحدهما من التَّذكُّر، وهو خلاف النِّسيان، فحملوا عليه الذِّكر باللِّسان[8].

و"الذِّكْرُ: تارة يقال، ويراد به: هيئة للنَّفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلَّا أنَّ الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشَّيء القلب أو القول"[9].

(1) الراغب، المفردات: (نسى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نسو - نسى).
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/169.
(4) الخليل، العين: (حظ).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حظ).
(6) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/528.
(7) الخليل، العين: (ذكر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(9) الراغب، المفردات: (ذكر).

و"الذِّكر بالكسر له معنيان، أَحدهما: التَّلَفُّظ بالشَّيء، والثَّاني: إِحضاره في الذِّهن بحيث لا يغيب عنه"[1] والمراد بالَّذي ذكِّروا به في الآية: هو التَّوراة[2].

10) ﴿خَآئِنَةٍ﴾: اسم فاعل للمؤنَّث من (خانَ يخونُ)، جذره اللُّغويُّ من: (خون)، ومنه الخيانة الَّتي تحصل في الودِّ والنَّصيحة، وتغيُّر الإنسان من حالة إلى أخرى شرٍّ منها[3].

والأصل في معنى الخيانة: "التَّنَقُّصُ، يُقَالُ: خَانَهُ يَخُونُهُ خَوْنًا، وَذَلِكَ نُقْصَانُ الْوَفَاءِ، وَيُقَالُ: تَخَوَّنَنِي فُلَانٌ حَقِّي، أَيْ: تَنَقَّصَنِي"[4]، و"الخِيَانَة والنِّفاق واحد، إلَّا أنَّ الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة"[5].

و"قيل: هي صفة لفرقةٍ أو جماعةٍ، أي: على جماعةٍ خائنةٍ، أو فرقةٍ خائنةٍ، وقيل: على خائنٍ منهم، والتَّاء للمبالغة كرواية وداهية، وقيل: الخائنة بمعنى: مصدر جاء على فاعلةٍ كالعافية والكاذبة"[6].

ومعنى خائنة في الآية: "الخيانة، وُضع وهو اسمٌ موضع المصدر، كما قيل: خاطئة للخطيئة، وقائلة للقيلولة"[7].

11) ﴿فَٱعۡفُ﴾: فعلُ أمرٍ من (عفا يعفُو)، وجذره اللُّغويُّ (عفو)، والعفو "تركُكَ إنسانًا استوجَبَ عُقوبةً؛ فعفوتَ عنه تعفُو، واللّه العَفُوُّ الغَفُوُّ"[8].

والأصلُ في معناه: أن يدلَّ على تركِ الشَّيءِ، فـ"عفوُ اللّه تعالى عنْ خلقهِ، وذلكَ تركُه إيَّاهُم، فلا يعاقبُهمْ، فضلًا منهُ"[9].

و"العَفوُ عن الذُّنوبِ: عَدَمُ المؤاخذةِ عليها، وكأنَّ مَن عفَا غطَّاهَا، أوأعرضَ عنهَا؛ فلمْ

(1) الكفويّ، الكليات، ص: 456.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/144.
(3) الخليل، العين: (خون).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خون).
(5) الراغب، المفردات: (خون).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (خون).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 10/131.
(8) الخليل، العين: (عفو).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: 4/56.

ينظرُ إليهَا"[1]؛ لأنَّ الأصلَ في العفوِ: التَّغطيةُ، والعفوُ الواردُ في الآيةِ ألَّا يؤاخذهم عمَّا صدر منهم من ذنوب[2].

12) ﴿وَٱصۡفَحۡۚ﴾: فعلُ أمرٍ موجَّهٌ لجماعةِ الحضورِ، جذرُه اللُّغويُّ من (صفح)، والاسمُ منهُ الصَّفْحُ، "وأصلُ الصَّفحِ: أَنْ تنحرفَ عَن الشَّيءِ؛ فتوليهِ صفحةَ وَجهِك، أَيْ: نَاحيَة وَجهِك"[3].

"وصفحتُ عن الرَّجل، أصفح صفحًا؛ إذا عَفَوْتُ عَن جرمه، وأضربتُ عَن هَذَا الْأَمر صفحًا؛ إذا تركتُه"[4] وأصلُ معناهُ: العرضُ، وهوَ صفحُ الشَّيءِ[5].

والمرادُ من الصَّفح في الآيةِ: أن يتركهم النَّبيُّ ﷺ ولا يتعرَّض لهم،[6] كالذي يولِّي صفحته، أي: عرضه، وجانبه للمذنب.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

العقوبات الَّتي حلَّت على بني إسرائيل عندما نقضوا العهود

يخبر سبحانه أنَّه بسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكَّدة عاقبناهم بعقوبات خمسٍ، هي: طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظةً لا تلين للإيمان، وابتُلوا بالتَّغيير والتَّبديل، فيجعلون كلام اللّه الذي أنزله على موسى عليه السلام وهو التَّوراة على غير ما أراده اللّه، وتركوا نصيبًا ممَّا ذُكِّروا به، فلم يعملوا به، والخامسةُ: الخيانةُ المستمرَّةُ منهم؛ بحيثُ لا تزال - أيُّها الرَّسول - تجد من اليهود خيانةً وغَدرًا، فهم على منهاجِ أسلافهم إلَّا قليلًا منهم، فاعفُ عن سوء معاملتهم لك، واصفح عنهم، فإنَّ اللّه يحبُّ مَن أحسن العفوَ والصَّفحَ إلى من أساء إليه، وهو إحسان لهؤلاء، يجلب محبَّة اللّه ورضوانه.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: 3/1491.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/435.
(3) ابن عزيز، غريب القرآن، ص: 111.
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (صفح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/293.
(6) البَغَويّ، معالم التنزيل: 3/31.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى (ما) بين الإعراب النَّحويِّ والإعراب التَّفسيريّ:

زيـادة (مـا) من باب عدم منعها العمل، وسيقت للتَّوكيد

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ "ما: لغوٌ، المعنى: فبنقضهم ميثاقهم، ومعنى (ما) الملغاة في العمل توكيد القصَّة"[1]، فهي عند النَّحويِّين زائدة، وآية ذلك: أنَّها وإن فصلت بين حرف الجرِّ ومدخوله، لكنَّه بقي عاملًا، وهي عند المفسِّرين لا توصف بالزِّيادة؛ فلا شيء من ذلك واقعًا في كلام الله، "وَذَلِكَ أَنَّهَا تُؤَكِّدُ الْكَلَامَ، بِمَعْنَى: تُمَكِّنُهُ فِي النَّفْسِ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ النَّظْمِ، وَمِنْ جِهَةِ تَكْثِيرِهِ لِلتَّوْكِيدِ"[2].

دلالة التَّعبير بـ(ما):

وجـود (مـا) في الجملة يخلع عليها تفخيمًا وتمكينًا

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾، (ما) هنا وإن كانت زائدة للتَّوكيد، إلَّا أنَّ وجودها في الجملة يخلع عليها تفخيمًا وتمكينًا[3].

في الكلام مجاز بالحذف:

اللَّـعـن يكـون جـــزاء نـقـض الميثاق فعلاً

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ هذه الجملة من الآية تتوفر على مجاز بالحذف، والحذف هنا: أنَّهم فعلًا قد "نَقَضُوا الْمِيثَاقَ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَ مُوسَى، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَضْيِيعِ الْفَرَائِضِ"[4]؛ ليكون التَّقدير فبما نقضهم الميثاق، فنقضوا الميثاق، فلعنَّاهم على طريقة قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160] فضرب، ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160].

وجهُ التَّعبير بالنقض - وهو أمر حسِّيٌّ - عن المعنويّ:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، معنى النَّقض: "فسخ التَّركيب في المركَّبات الحسِّيَّة، كالحبل والغزل ونحوهما، فهو

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/159.
(2) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/379.
(3) النسفيّ، مدارك التنزيل: 1/434.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 4/204.

أمر حسِّيٌّ"[1] لكنَّه جاء هنا تعبيرًا عن عدم الوفاء بالعهد، وترك الالتزام به؛ فجاء به تعبيرًا حسِّيًا؛ لتمكينه من النَّفس وبيان أهمِّيَّته.

غـرضـه بـيـان أهمِّيَّته وتمكينه من النَّفس

دلالة قراءة ﴿قَٰسِيَةً﴾ على ﴿قَسِيَّةً﴾:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، في لفظة ﴿قَٰسِيَةً﴾ قراءة أخرى: فقد قرأ "حَمْزَة والكسائيُّ ﴿قَسِيَّةً﴾ بِغَيْر ألف، مُشَدَّدَة"،[2] فهذه القراءة (فَعِيلَة) على التَّشديد، والأُولى ليست كذلك، "وَحجَّة من قَرَأَ ﴿قَسِيَّةً﴾ هِيَ أَنَّ فعيلًا أبلغ في الذَّمِّ والمدح من فَاعِل، كَمَا أَنَّ عليمًا أبلغ من عَالم، وسميعًا أبلغ من سامِع، وَهِي فَعِيلَة من الْقَسْوَة"[3]، فقراءة التَّشديد تصوِّر حال قلوبهم بأنَّها لا تَلين للحقِّ، ولا تنتفعُ بأيِّ خير، فالغلظةُ فيها مستحكمة.

القراءة على وزن (فَعِيلَة) دالَّة على المبالغة

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، على قراءة "حَمْزَة والكسائيِّ ﴿قَسِيَّةً﴾ بِغَيْر ألف، مُشَدَّدَة"[4]"من قولهم: درهم قسِيٌّ، وهو من القسوة؛ لأنَّ الذَّهب والفضَّة الخالصين فيهما لين، والمغشوش فيه يبس وصلابة"[5]، وكذلك هذه القلوب الَّتي لا تشتمل على الإيمان، ويخالطها الكفر.

القراءة مأخوذة مـن قـولـهـم الدَّراهم القسيَّة الـتـي يخالطها غشٌّ

دلالة تعقيب التَّحريف على قسوة القلوب:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، ذكر هنا قسوة القلوب، ثمَّ أعقبها بتحريف الكلم؛ لأنَّه لمَّا أصبحت قلوبهم قاسية"بيَّن نتيجة قسوة قلوبهم، فقال: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ لفظًا أو تأويلًا، ولا قسوة أعظم من الجرأة على تغيير كتاب اللّه وتحريفه"[6].

القسوة سبب مـن أسـبـاب الـجـرأة على تـحـريـف كـلام الله

(1) المطعني، خصائص التعبير القرآني: 1/462.
(2) ابن مجاهد، السبعة، ص: 243.
(3) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 224.
(4) ابن مجاهد، السبعة، ص: 243.
(5) الزمخشري، الكشاف: 2/216.
(6) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/18.

التَّعبير بالجمع في غالب جمل الآية:

المطابقة اللَّفظيَّة بين أفعالهم وما جوزوا به

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، ألفاظ الآية وجملها في غالبها مبنيَّة على الجمع مثل ﴿نَقْضِهِم﴾، ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾، ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾، ﴿قُلُوبَهُمْ﴾، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾، ﴿وَنَسُوا۟﴾، ﴿ذُكِّرُوا۟﴾، وسرُّ ذلك للمطابقة اللفظيَّة بين أفعالهم والجزاء الذي كان عاقبتهم؛ فلا يحسن مخالفة ذلك بأن يعبِّر أوَّلًا بصيغة الجمع، ثمَّ بصيغة الإفراد، أو أن يعكس الأمر ممَّا يخلُّ بمقتضى الفصاحة والبلاغة.

علَّةُ تأخُّر قوله: ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾:

قسوة القلوب وسوء الأفعال سبب لنسيان حظِّهم ممَّا ذكِّروا به

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، في الآية جمل متعانقة متتالية، آخذ بعضها برقاب بعض، بدأها بنقض الميثاق، وعقَّبها بنسيان الحظِّ والنَّصيب، وهذه الجملة متأخِّرة عمَّا قبلها من قسوة القلوب وسوء الأفعال؛ لأنَّ هذه الأفعال سبب لذلك النِّسيان، فالعصيان سبب لنسيان العلم[1]، وهذا شامل لنسيان علم ما ذُكِّروا به من التَّوراة، وما أنزل الله على موسى عليه السلام وأنَّهم نسوه، وضاع عنهم، ولم يوجد كثير ممَّا أنساهم الله إيَّاه عقوبة منه لهم، وشامل كذلك لنسيان العمل الذي هو التَّرك، فلم يوفَّقوا للقيام بما أمروا به[2].

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي في ﴿وَنَسُوا۟﴾:

النِّسيان أمر لا يتجدَّد إلى أن يتذكَّره النَّاسي

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، الفعل الماضي يدلُّ على الانقطاع؛ لأنَّه قد تمَّ ومضى، وهو قريب من الثَّبات في كونه لا يتجدَّد كالفعل المضارع، إلَّا إنْ تذكَّره النَّاسي، وقد عبَّر هنا بقوله: ﴿وَنَسُوا۟﴾

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/206.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 109.

"بِالْفِعْلِ الْمَاضِي؛ لِأَنَّ النِّسْيَانَ لَا يَتَجَدَّدُ، فَإِذَا حَصَلَ؛ مَضَى، حَتَّى يُذَكِّرَهُ مُذَكِّرٌ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُرَادًا بِهِ الْإِهْمَالُ، فَإِنَّ فِي صَوْغِهِ بِصِيغَةِ الْمَاضِيَ تَرْشِيحًا لِلِاسْتِعَارَةِ، أَوِ الْكِنَايَةِ؛ لِتَهَاوُنِهِمْ بِالذِّكْرَى"[1]، فهو إهمال يفضي بالمرء إلى النِّسيان.

من جمال النَّظم القرآنيّ التَّعبير بالحظّ:

قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾، في التَّعبير بالحظِّ، وهو مفعول للنِّسيان جمال في النَّظم القرآنيِّ يومئ إلى أنَّهم "على قدر كبير من السُّوء بدرجة أنستهم الشَّيء الَّذي يأتي لهم بالحظِّ الكبير، مثل نسيانهم البشارات بمحمَّد - ﷺ - وكتمانها، ولو كانوا قد آمنوا بها؛ لكان حظُّهم كبيرًا"[2].

تنكير الحظّ يفيد التَّعظيم والتَّكثير

قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾، ورد الحظُّ هنا منكَّرًا "وَالْحَظُّ النَّصِيبُ، وَتَنْكِيرُهُ هُنَا لِلتَّعْظِيمِ، أَوِ التَّكْثِيرِ بِقَرِينَةِ الذَّمِّ، وَمَا ذُكِّرُوا بِهِ هُوَ التَّوْرَاةُ"[3]، أي: نسوا حظًّا عظيمًا، والنَّكرة تدلُّ على العموم والشُّمول، وهما قرينا الكثرة.

دلالةُ الفعل ﴿وَلَا تَزَالُ﴾:

استمرار خيانتهم ومِن ثمَّ اطِّلاعك عليها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، الفعل ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ فعل مضارع دالٌّ على التَّجدُّد والاستمرار، فهو في معنى "يَدُومُ اطِّلَاعُكَ، فَالِاطِّلَاعُ مَجَازٌ مَشْهُورٌ فِي الْعِلْمِ بِالْأَمْرِ، وَالِاطِّلَاعُ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الْمُطَّلَعِ عَلَيْهِ، أَيْ: لَا يَزَالُونَ يَخُونُونَ، فَتَطَّلِعُ عَلَى خِيَانَتِهِمْ"[4]، "أي: ستستمرُّ في الاطِّلاع على خائنة منهم"[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/144.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/3009.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/144.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/144.
(5) السامرائي، معاني النحو: 1/242.

معنى الفعل ﴿تَطَّلِعُ﴾ زنة (تَفْتَعِل):

كشف الخيانة يقتضي تكلُّفًا ومشقَّة؛ لأنَّها من دخائل النُّفوس

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، الفعل ﴿تَطَّلِعُ﴾، وزنه الصَّرفيُّ (تَفْتَعِل)؛ لأنَّ الأصل فيه (طلعَ)، فهو على هذا الوزن (تَتْطَلِع)، ثمّ قلبت التَّاء الثانية طاء، وادغمتا؛ فصار (تَطّلِع) زنة (تَفْتَعِل) "فَاطَّلَعَ بِمَنْزِلَةِ تَطَلَّعَ، أَيْ: تَكَلَّفَ الطُّلُوعَ؛ لِقَصْدِ الْإِشْرَافِ، وَالْمَعْنَى: وَلَا تَزَالُ تَكْشِفُ، وَتُشَاهِدُ خَائِنَةً مِنْهُمْ"[1]، وكشف الخيانة ممَّا يقتضي تكلُّفًا ومشقَّة؛ لأنَّها من دخائل النُّفوس.

التَّعبير بقوله: ﴿خَآئِنَةٍ﴾:

يـــدلُّ عـلى المصدريَّة المفيدة الـوصـول إلى منتهى الحدث، وإلى خـالـص الشَّيء وتمامه

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، الظَّاهر - في قوله: ﴿خَآئِنَةٍ﴾ - أنَّها صيغة اسم فاعل مؤنَّث، إلَّا أنَّها تحتمل أن تكون "بِمَعْنَى: الْمَصْدَرِ، وَنَظِيرُهُ كَثِيرٌ، كَالْكَافِيَةِ وَالْعَافِيَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقَّة: 5]، أَيْ: بِالطُّغْيَانِ... وَتَقُولُ الْعَرَبُ: سَمِعْتُ رَاغِيَةَ الْإِبِلِ، وَثَاغِيَةَ الشَّاءِ، يَعْنُونَ: رُغَاءَهَا وَثُغَاءَهَا"[2]، وفي دلالتها على المصدر فائدته: الوصول إلى منتهى الحدث؛ لأنَّ المصدر يدلُّ على خالص الشَّيء وتمامه.

لفظ ﴿خَآئِنَةٍ﴾ يحتمل دلالته على المبالغة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، وتحتمل لفظة ﴿خَآئِنَةٍ﴾ دلالة أخرى، وهي المبالغة على زيادة التَّاء، مثلما يقال: رجلٌ علَّامة، ورجلٌ نسَّابة، فالتَّاء أو الهاء - عند الوقف - للمبالغة، وكذلك ﴿خَآئِنَةٍ﴾ التَّاء للمبالغة[3]، وكقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: 1].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/144.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/192.
(3) ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص: 180.

دلالةُ الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾:

تقريرُ قانون صيانة الاحتمال

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ نصبٌ على الاستثناء من خائنة[1]؛ فقد أخرج من الخيانة نفرًا منهم، ودلالة هذا الاستثناء دلالة دقيقة صادقة تدخل تحت قانون صيانة الاحتمال، فقد "يُحتمل أن يُوجد قوم من اليهود يغلبهم الفهم العميق، فيفكروا في أن يؤمنوا بهذا الرَّسول، ويهدِّئوا من شراسة ظنِّهم به؟ وقد فكَّر بعضهم، وأعلن الإسلام"[2]، فمَن آمن منهم داخل في هذا القليل المستثنى.

بلاغةُ الفاءِ الفصيحة:

تسليطُ الضَّوْءِ على منهجِ التَّعاملِ مع الآخرِ

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾، الفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ هيَ الفاء الفصيحةُ، وهيَ الَّتي تُفصحُ عن محذوفٍ يقدِّرُه المخاطَبُ من السِّياقِ، وجمهورُ البيانيِّينَ يشترطونَ تضمينَ المقدَّرِ شرطًا، وهوَ ليسَ بلازمٍ، أيْ: إنْ كنت جاهلًا عمَّا يجبُ أنْ تقوم بهِ تجاهَ أولئكَ؛ فاعفُ عنهم واصفح، "والصَّفح: ترْك اللَّوم والمعاتبة، ولذا قالوا: الصَّفح أعلى رتبةً من العفو؛ لأنَّ العفو ترْك المقابلة بالمثل ظاهرًا، أمَّا الصَّفح فهو يتناول السماحة النَّفسيَّة، واعتبار الإساءة كأن لم تكن في الظَّاهر والباطن"[3]، ويظهرُ أثرُ بلاغةِ الفاءِ الفصيحةِ في تسليطِ الضَّوْءِ على الواجبِ فعلِه مع هؤلاء من أهلِ الكتابِ، وهوَ العفوُ والصَّفحُ؛ لأنَّهُ المقصودُ الحقيقيُّ في السِّياقِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالعفوِ والصَّفح:

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾، عبَّرتِ الآيةُ بالعفوِ

(1) العكبري، التبيان: 1/427.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/310.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/84.

والصَّفحِ، ولمْ تأتِ على ذكرِ الصَّبرِ، أو التَّصدِّي، أو غيرِها من المعاني؛ لأنَّ المقصودَ هو التَّجاوز عن خيانتهم، وتليين قلوبهم، ولا يؤدِّي هذهِ المعاني إلَّا العفوُ والصَّفحُ، وما يولِّدُه منهجُ العفوِ والصَّفحِ من قوَّةٍ فكريَّةٍ، وثباتٍ عَقَديٍّ، وهوَ ما يورِّثُ في النَّفسِ المسلمةِ من القوَّةِ والمُكنةِ، ما لا يورِّثُه النِّزاعُ والجدالُ.

تـوريـثُ الـقـوَّةِ الـنَّـفـسـيَّـةِ، والمنعةِ العقديَّةِ

بلاغةُ عطفِ الأفعالِ المتقاربةِ الدِّلالة:

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾، عُطفَ فعلُ ﴿وَٱصۡفَحۡۚ﴾ على فعلِ ﴿فَٱعۡفُ﴾ في قولِه: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾؛ لتحقيقِ فائدةٍ بيانيَّةٍ بديعةٍ: وهيَ أنَّ العفوَ درجةٌ من التَّسامحِ عاليةٌ، وهيَ تدلُّ على تركِ عقابِ المذنبِ، أمَّا الصَّفحُ؛ فهوَ تركُ عقابِ المذنبِ جملةً، أي: أعرضُوا عن المذنبِ بصفحةِ الوجهِ في "عدمِ لومِه وتثريبِه عليهِ، وهوَ أبلغُ منَ العفوِ"[1]؛ ليشملَ ذلك تركَ العقابِ والمجازاةِ، وتركَ اللَّومِ أيضًا، فجاءَ بفعلينِ متقاربينِ في الدِّلالةِ؛ ليحقِّقَ الشموليَّةَ في بناءِ أخلاقِ المسلمينَ في الجانبينِ الماديِّ والمعنويِّ: الماديِّ في تركِ العقوبةِ، والمعنويِّ النَّفسيِّ في تركِ اللَّومِ والتَّثريبِ عليهم.

الـجـمـعُ بـيـنَ العفوِ المـادِّي، والـصَّـفـحِ المـعـنـويِّ؛ لتحقيقِ التَّوازنِ بينَ الدِّلالتينِ

بلاغةُ تقديمِ العفوِ على الصَّفح:

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾، قُدِّمَ العفوُ على الصَّفحِ؛ لأنَّ العفوَ أهمُّ من الصَّفحِ؛ فللعفوِ أثرٌ جسديٌّ ماديٌّ؛ لأنَّهُ يتعلَّقُ بالمظهرِ، بينَما نجدُ الصفحَ ذا أثرٍ نفسيٍّ، فالعفوُ سلامةٌ، والصَّفحُ غنيمةٌ، وطلبُ السَّلامةِ مقدَّمٌ على طلبِ الغنيمةِ، ثمَّ قدَّمَه لسببٍ ثانٍ، وهوَ أنَّ حصولَ العفوِ من المسلمينَ هوَ مقدِّمةٌ لحصولِ الصَّفحِ، فهوَ من قبيلِ تقديمِ السَّببِ على النَّتيجةِ؛ فتركُ العقوبةِ قدْ يكونُ سببًا لتركِ

العفوُ مقدِّمةُ الـصَّـفـحِ ولا يُتصوَّرُ بدونِه، فهوَ من تقديمِ الأسبابِ على نتائجِها

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 1/671.

اللَّوم والمؤاخذةِ، "والحقُّ هنا يأمر بالعفو، أي: إزالة أثرها، ويأمر بالصَّفح، أي: أن تُخْرِجَ أثر الخطيئة من بالك"[1].

دلالة تذييل الآية بالإحسان:

الإحسان أمر زائد على التَّقوى

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، تذييل لما سبق من عفو وصفح؛ لأنَّ الإحسان له وجهان: الأوَّلُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2]، وعلى ذلك فإنَّ الإحسانَ أمرٌ زائدٌ على التَّقوى، فمِنَ الإحْسانِ ما لا يقفُ المُحسِنُ عند ما كلَّفهُ الحقُّ تبارك وتعالى، بل يزيدُ عليها، ضمن الشَّرع طبْعًا، كالَّذي يتقرَّبُ إلى الله بالنَّوافل[3]، صلاةً وصيامًا وإنفاقًا للمال، وسوى ذلك من وجوه الخير الَّتي لا حصر لها، وهذا هو الوجهُ الثَّاني للإحسان.

الألفُ واللَّامُ تفيد جنس المحسنين وعمومهم

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، الألفُ واللَّامُ في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ جنسيَّةٌ، تشملُ جميع المُحسنين، وتُفيدُ الجنس والعُمُوم، كي لا يظنَّ ظانٌّ أنَّ حبَّه تعالى للمحسنين مقتصر على الوارد ذكرهم في الآية.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦٓ﴾:

تحريف الكلم عن مواضعه أقرب زمنًا من تحريف الكلم من بعد مواضعه

قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، آية من آيات المتشابه اللَّفظيِّ، وردت في ثلاثة مواضع من الكتاب الكريم، فوردت هنا، وفي النِّساء بقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّساء: 46] بحرف الجرِّ داخلًا على ﴿مَّوَاضِعِهِۦ﴾، فيما وردت في موضع آخر من المائدة بقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦٓ﴾ [المائدة: 41] بالعدول من

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/3011.
(2) الإمام أحمد، المسند، الحديث رقم: (185).
(3) الشعّراوي، تفسير الشّعراوي، 6/3391.

﴿عَن﴾ إلى ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾، فالسُّؤال عن الفرق بين الموضعين المتشابهين، ولا سيَّما التَّعبير بـ﴿عَن﴾ والتَّعبير بـ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾، ولِمَ اختصَّ أحدهما بما اختصَّ به؟

والجواب عن ذلك: أنَّ ثمَّة تقاربًا بين (عن) و(بعد) إلَّا أنَّ بينهما فرقًا دقيقًا وهو الزَّمن، فإنَّ "الأصل في هذا المكان أن تستعمل (عن)؛ لأنَّ (بعد) قد تكون لما تأخَّر زمان غيره بأزمنة كثيرة وبزمن واحد، و(عن) لما جاوز الشَّيء إلى غيره، وملاصقًا زمنه"[1] وهذا متعلِّق بالآية الأولى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، أمَّا قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾؛ فهو "أن يكون المراد من بعد موت النَّبيِّ؛ ليجعلوه على خلاف ما سمعوه منه، وهذا موضع (بعد) لا موضع (عن)؛ لأنَّه ليس يعدوه إلى المحرَّف إليه، فينفصل عمَّا جاء عليه إلى الكذب مقارنًا له، وإنَّما ذلك بعده بأزمنة كثيرة يتوقَّعون مضيَّها؛ ليسهل كذبهم بعدها"[2].

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ في أوائل اليهود، و﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ في زمنه ﷺ:

الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: 41]: أنَّ "الأولى: فِي أَوَائِل الْيَهُود، وَالثَّانِيَة: فِيمَن كَانُوا فِي زمن النَّبِي ﷺ أَي: حرَّفوها بعد أَن وَضعهَا الله مواضعهَا، وعرفوها، وَعمِلُوا بهَا زَمَانًا".[3] وهو عين كلام ابن جماعة، فقد ذكر: "أنَّ الأولى هنا وآية النِّساء ربَّما أريد بها التحريف الأوَّل عند نزول التوراة... والآية الثَّانية: تحريفهم في زمن النَّبيِّ ﷺ، وتغييرهم عن المقول لهم في التَّوراة بغير معناه... فـ(عن)؛ لما قرب من الأمر، و(بعد)؛ لما بعُد"[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المحبَّة والإرادة:

ثمَّة فرقٌ مُعجميٌّ بين المحبَّة والإرادة، وهو "أنَّ المحبَّة: تجري على الشَّيء، ويكونُ المُرادُ به غيرَهُ، وليس كذلك الإرادة... وتقولُ: (اللهُ يُحِبُّ المُؤْمنين)، بمعنى: أنَّهُ يُريد إكرامهم

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 1/437.
(2) الإسكافي، درّة التنزيل: 1/438.
(3) الكرماني، البرهان، ص: 101.
(4) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 146.

وإثابتهم، ولا يُقال: إنَّه يريدهم"[1]، والوارد في الآية الكريمة على هذا النَّسق؛ فالحقُّ (تبارك وتعالى) يحبُّ المُحسنين، أي: يريدُ إكرامهم وإثابتهم على إحسانهم، ولا يُتصوَّرُ أن يُقال في حقِّهم: إنَّهُ يُريدُهم؛ لأنَّ المحبَّة تختلفُ عن الإرادة كما تقدَّم، والله أعلم.

المحبَّةُ تجري على الشَّيء ويراد غيرُهُ، وليس كذلك الإرادة

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 121.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»